

روح المعاني

واختار بعضهم كون المعنى هو الذي خلقكم خلقا بعديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مختار للإيمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وهو الذي ذهب إليه الزمخشري بيد أنه فسر الكافر بالآتي بالكفر والفاعل له والمؤمن بالآتي بالإيمان والفاعل له لأن الأوفق بمذهبه من أن العبد خالق لأفعاله وأن الآية لبيان إخلالهم بما يقتضيه التفضل عليهم بأصل النعم الذي هو الخلق والإيجاد من النعم وأن الآيات بعد في معنى الوعيد على الكفر وإنكار أن يعصي الخالق ولا تشكر نعمته ثم قال : فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من أن تعالی على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم سبحانه وجعل الطيبي الفاء على هذا للترتيب والفرض على سبيل الاستعارة كاللام في قوله تعالى : فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهي كالفاء في قوله تعالى : وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ولم يجعلها للتفصيل كما قيل .

واختار في الآية المعنى السابق مؤيدا له بالأحاديث الصحيحة وبأن السياق عليه مدعيا أن الآيات كلها واردة لبيان عظمة أن تعالی ملكه وملكوته واستبداده فيهما وفي شمول علمه تعالی كلها وفي إنشائه تعالی المكونات وذواتها وأعراضها ووافقه في اختيار ذلك تلميذه المدقق صاحب الكشف واعترض قول الزمخشري : فما أجهل الخ بقوله فيه ما مر مرارا كأنه يعني مخالفة النصوص في عدم كون الكفر مخلوقا كغيره على أن خلق الكفر أيضا من النعم العظام فلو لا خلقه وتبيين ما فيه من المصاير مقدار الأنعام بالإيمان وما فيه من المنافع ثم إن كونه كفرا باعتبار قيامه بالعبد ومنه جاء القبح لاعتبار كونه خلقه تعالی على ما حقق في موضعه ثم قال : ومنه يظهر أن تكلفه في قوله تعالى : فمنكم الخ ليخرجه عن تفصيل المجل في خلقكم تحريف لكتاب أن تعالی انتهى .

ويرجح التفصيل عندي في الجملة قوله تعالى : كافر ومؤمن دون من يكفر ومؤمن نعم عدم دخول الكفر والإيمان في الخلق أوفق بقوله تعالى : فطرة أن التي فطر الناس عليها وقوله ص - : كل مولود يولد على الفطرة والإنصاف أن الآية تحتل كلام المعنيين : المعنى الذي ذكر أولا والمعنى الذي اختاره البعض والسياق يحتمل أن يحمل على ما يناسب كلا وليس نسا في أحد الأمرين اللذين سمعتهما حتى قيل : إن الآيات واردة لبيان ما يتوقف عليه الوعد والوعيد

بعد من القدرة التامة والعلم المحيط بالنشأتين وقوله تعالى : وإِنا بما تعملون بصير .

2 .

- أي فيجازيكم بما يناسب ذلك لا ينافي خلق الكفر والإيمان لأنهما مكسوبان للعبد وخلق

إِنا تعالى إياهما لا ينافي كونهما مكسوبين للعبد كما في الكلام على قوله تعالى : وإِنا

خلقكم وما تعملون لكن أكثر الأحاديث تؤيد المعنى الأول وكأنني بك تختار الثاني لأن كون

المقام للتوبيخ على الكفر أظهر وهو أوفق به وعن عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر أي

بالله تعالى مؤمن بالكوكب ومنكم مؤمن بإِنا تعالى كافر بالكوكب وقيل : فمنكم كافر بالخلق

وهم الدهرية ومنكم مؤمن به وعن الحسن أن في الكلام حذفاً والتقدير ومنكم فاسق ولا أراه

يصح وكأنه من كذب المعتزلة عليه والجملة على ما استظهر بعض الأفاضل معطوفة على الصلة

ولا يضره عدم العائد لأن